

المعتقدات الشعبية حول الطعام عند الدناقلة بشمال السودان

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

د. عوض شيبا

المستخلص:

هذه الورقة تقدم إضاءات عامة عن بعض جوانب المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطعام عند الدناقلة بشمال السودان - وهي من المجموعات النوبية النيلية - باتخاذ بعض النماذج للدراسة والتي تحمل في طياتها الكثير من المضامين الاجتماعية والثراء الثقافي، واستخدمت الدراسة المنهج الشامل مع التركيز على المنهج التاريخي التحليلي، وخرجت بعدة نتائج منها: إن معظم المعتقدات الشعبية حول الطعام في منطقة الدراسة لها جذور دينية قديمة في وادي النيل قبل ظهور الديانات السماوية الثلاثة (اليهودية- المسيحية- الإسلام) والتي تركت بعض بصماتها على هذه المعتقدات، ونلمح بعض مظاهر استمراريتها في مجتمع الدراسة.

كلمات مفتاحية: المعتقدات الشعبية، الطعام، الدناقلة، شمال السودان

Popular beliefs about food at the Danakla in northern Sudan
Dr.. Awad Sheba - Center for Research and Studies of the Red Sea Basin Countries

Abstract:

This paper presents general illumination on some aspects of the popular beliefs related to food among the Danaqila in northern Sudan - which are from the Nilotic Nubian groups - by taking some models for the study, which carry with it a lot of social implications and cultural richness, and the study used the comprehensive approach with a focus on the historical approachAnalytical analysis, and came out with several results, including: Most of the popular beliefs about food in the study area have ancient religious roots in the Nile Valley before the emergence of the three monotheistic religions (Judaism - Christianity - Islam), which left some imprints on these beliefs, and we glimpse some aspects of their continuity in the study community. .

Keywords: folk beliefs, food, Danakla, North Sudan

مقدمة:

تعتبر عادات الطعام وآداب المائدة عنصر أصيلاً وأساسياً من عناصر التراث الثقافي وهي في حالة تفاعل مستمر مع حركة المجتمع وتداخل وترابط مع شتى عناصر التراث الأخرى - لارتباطها بشكل يومي بحياة الفرد- من معتقدات شعبية وأدب شعبي، كما أنها وثيقة الصلة بالجانب المادي من التراث لأن الطعام مكوّن من عناصر مادية ويُعد ويقدم ويحفظ في أدوات وأواني مادية⁽¹⁾.

أما المعتقدات الشعبية - وهو موضوع دراستنا - والمقصود منها المعتقدات التي يؤمن بها شعب ما سواء كانت هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء هذا الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام أو إنها كانت أصلاً معتقدات دينية - إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك، ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال، ولكنها لا تحظى بتقدير وقبول رجال الدين الرسميين وتُوسم بالخرافات⁽²⁾، وهذه الورقة تحاول إلقاء الضوء على بعض جوانب المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطعام عند الدناقلة، وهي من المجموعات النوبية النيلية التي تمتد أوطانها على النيل في شمال السودان ما بين مدينتي كرمة والدبة⁽³⁾.

وسيكون تناول هذا الموضوع من خلال تقسيمها لموضوعات صغيرة تحاول أن تغطي العناصر الرئيسية للدراسة على النحو الآتي بإتخاذ نماذج لبعض الطقوس، من خلال هذه المحاور:

1. حفظ الحبوب وزيادة البركة.

2. إطفاء أبناء الجد.

3. حفظ الأطعمة.

4. المحظورات من الطعام.

5. النتائج والتوصيات.

ومن المناهج التي أوليناها اهتماماً في هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي لأنه يقوم على محاول الكشف على أصول ومنشأ أي عنصر من عناصر التراث الثقافي بمراحله التاريخية المختلفة والنظر إليه نظرة تشريحية باعتبار أن هذا العنصر الثقافي المائل أمامنا في الحاضر كشيء متطور ومتغير عبر العصور من خلال الاحتكاك بالثقافات المختلفة مما يتيح لنا التعرف على العوامل التاريخية والمحلية والأجنبية التي ساهمت في تشكيل تراث مجتمع الدراسة وصياغته بالصورة الحالية⁽⁴⁾.

لا توجد دراسات سابقة حول موضوع الدراسة لذا اعتمدنا على طريقة قد تكون مناسبة - في تقديرنا - وهي التركيز في جمع المادة على جغرافية محدودة، ننظر من خلالها على عادات الطعام في منطقة دنقلا بصورة عامة باعتبار تشابه عناصر التراث الثقافي في كل المنطقة، وجاء اختيارنا لمنطقة المقاوادة الواقعة شمال دنقلا (العجوز) عاصمة مملكة المقر، وذلك لأهميتها التاريخية والثقافية حيث تعتبر المنطقة امتداداً ريفياً وحضرياً للعاصمة النوبية، بالإضافة إلى أن هناك أسباباً ذاتية ترتبط بنشأة الباحث في هذه المنطقة ومعايشته لثقافتها. وكذلك ركزنا على الدلالات التاريخية والثقافية للغة الأسماء وخاصة أن لغة مجتمع الدراسة - اللغة الدنقلوية النوبية، وهي من اللغات السودانية القديمة الزاخرة بالمضامين الثقافية والتاريخية. ومعلوم أن لغة الدراسة هي اللغة العربية ولما كانت لغة المقابلات الميدانية كانت باللغة الدنقلوية النوبية - وهي إحدى اللغات النيلية القديمة في وادي النيل وكانت مكتوبة في الفترة المسيحية - وقد سهل معرفة الباحث بهذه

اللغة وترجمتها إلى اللغة العربية دون إيراد نص المقابلة باللغة الدنقلوية في متن الدراسة، كما فضلنا كتابة الأسماء والمصطلحات الخاصة بموضوع الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية مع ترجمتها إلى اللغة العربية إذا وُجد لها مقابل أو مشهور العامية السودانية، لأن لغة الأسماء من السمات المميزة لأي مجتمع ثقافي⁽⁵⁾.

من طقوس حفظ الحبوب وزيادة البركة (تينمباب / Tenbab):

يطلق اسم تينمباب على نوع من الحجارة الصغيرة (حصى) شديدة اللّمعان، بيضاوي الشكل وأحياناً أقرب للدائري، تتراوح لونها ما بين الأسود والبني المتدرج. أما أحجامها فهي مختلفة ما بين صغيرة وكبيرة ولا يتجاوز حجم أكبرها بيضة الدجاج متوسطة الحجم لغير المنحوت، وعلى هذه الحجارة رسومات أو خطوط في شكل كتابات تعطي أشكال حيوانات معينة على حسب الناظر إليها وتتمثل هذه الأشكال في معظمها في شكل بقرة أو تمساح أو طيور، ومن سمات هذه الحجارة، كما يذكر الرواة أن هذه الحجارة تتميز بخاصية الحركة، عند منتصف النهار وأثناء الليل وحركتها مصحوبة بأضواء لامعة، وتستخدم هذه الحجارة لحفظ وزيادة البركة للمحاصيل الزراعية وتحديدًا الحبوب⁽⁶⁾ (صورة رقم 1).



صورة رقم (1)

توضح التينمباب

أما عن معنى تينمباب وهي كلمة دنقلاوية نوبية فذهب البعض في تفسيرها عدة مذاهب ولكن يمكن أن نجعلها في ثلاث أراء:

الأول: يقول إن أصل الكلمة تيرناباب ويتكون من مقطعين: الأول تير ويعني الله تنزهت أسماؤه - والنون للنسب -، والثاني: باب ويعني ذو أو صاحب ثم قُلبت نون النسب ميماً لوقوعه ساكناً بعد با (باب) فأصبحت تيرمباب ثم حُرِفت إلى تينمباب لسهولة النطق والكلمة تعني ذو التقديس أو الحجر المقدس ⁽⁷⁾.
الثاني: المقصود بتينمباب ملك الملوك أو والدهم حيث تن ضمير (هم) وباب والدهم والمراد إلههم أو ملكهم وهو حجر صغير يتمثل في شكل جعران (دورا نج) ⁽⁸⁾، ويحدد البعض هذا النوع بالجعران (الخنفساء) الذي يدرج مخلفات البهائم وخاصة روث الأبقار وتعرف في منطقة الدراسة بكوهندارا-ن-دور ⁽⁹⁾.

الثالث: يربط اسم تينمباب بالبقرة المقدسة حيث يرى أن كلمة تي باللغة الدنقلاوية تعني البقرة وكلمة با تعني الحوض ولعل المراد إحدى المعنيين: الأول: الإنتاج والوفرة في المحصول، أما الثاني: الخصوبة في التكاثر والإنجاب، ولعل هناك ربطاً بين المقطع (تي) في تينمباب والمقطع تي في كلمة آر تي وتعني في اللغة الدنقلاوية الله سبحانه وتعالى تنزهت أسماؤه ⁽¹⁰⁾. ومن خلال هذا الأراء، نخلص إلى ثلاثة نتائج وهي:
 الأولى: أن كلمة تينمباب تدل على نوع من التمايم والحروز التي تستخدم وفق طقوس معينة، لها قداسة كبيرة عند السكان.

الثانية: أن التيمباب المنحوت تتمثل بصورة كبيرة في شكل الخنفساء لها طقوس خاصة غير المتناولة في هذه الدراسة.
 الثالثة: أن الحجارة الصغيرة (حصى) اللامعة ربما لها علاقة بالبقرة المقدسة.

هذه النتائج تقودنا إلى الوقوف على بعض ملامح المعتقدات القديمة ذات الصلة في وادي النيل حيث تعتبر منطقة الدراسة جزءاً منها، وذلك بالقدر الذي تسمح به هذه الدراسة الموجزة. وفي هذا الإطار يقول بدج: إن إيمان السوداني المعاصر بالتمايم يوازي نفس القدر الذي كان يؤمن به أسلافه منذ آلاف السنين فهو لا يزال يعتقد أن لبعض الأحجار ذات الألوان - المحددة خصوصاً عندما يتم تشكيلها على هيئة رموز بعينها - خواص سحرية رغم أنه لا يعرف أي معلومات عن معناها عدا أنها مقام للأرواح. فالنساء والأطفال خاصة الفتيات يحمين أجزاء عديدة من أجسادهن بعقود من الخرز المصنوع من أحجار سحرية وفي بعض الأحيان تجدهم يضعون لوحات من المعدن أو الحجر مقطوعة بأشكال متنوعة ومعلمة بعلامات سحرية على أجسادهم في أماكن معينة تتطابق مع تلك الأماكن التي وضع فيها قدماء المصريين تمايمهم مع موتاهم، وهذه المعتقدات ليست بعيدة عن معتقدات عصر الأسر أو حتى ما قبل الأسر المصرية، ويحتاج هذا الموضوع لمزيد من البحث ⁽¹¹⁾. وتقول شادية هي أثاره تعمل ضمن الفريق الآثاري لمشروع حفريات المتحف البريطاني في عمارة غرب أنها لاحظت وجو حصلا في بعض الغرف لمنازل تعود لفترة الدولة المصرية الحديثة (1000-1500 ق. م) تتراوح متوسط أعدادها ما بين (3-5) بألوان مختلفة بنية خضراء حمراء ⁽¹²⁾، وربما استخدمت هذه الحصى لأغراض الحماية ولأغراض تعبدية.

من جانب آخر فإننا نجد للرأي الذي يربط بين التينمباب والبقرة المقدسة صدى كبيراً في ثقافة المنطقة حيث كانت تمثل البقرة أهمية كبرى في حياة السكان وفي طقوسهم، ولكننا هنا نود أن نقف بإيجاز عن أهمية البقرة كرمز لمعبود قديم في وادي النيل وهي الآلهة حتحور ربة من أقدم الربوات التي عبدها

المصريون فقد عثر على رمزها في هيئة رأسي وقرن بقرة بين عدد من الأغراض الصوانية التي ترجع إلى عصور موغلة في القدم وقد رسمت أيضاً على هيئة بقرة، وكتبت حيت - حيرت (Het - Hert) وكتبها اليونانيون هاتور⁽¹³⁾، وتنطق في منطقة الدراسة شاه (ح) تور. ويقول محمد إبراهيم بكر: أن حتحور (Hathor) كانت في الأصل هي البقرة التي أشفقت على حورس (Horus) في الأسطورة ويكوّن مع والده أوزيريس (Osiris)، ملك العالم السفلي وإله الخير ووالدته إيزيس (Isis) التي تمثل الخير والأمومة وربّة السحر ثالوثاً مقدساً ورمزاً للخير والنيل في صراعه مع الشر والصحراء والذي يرمز له بالمعبود ست، ومعنى حتحور حصن أو مأوى أو حاضنة حورس ثم أصبحت ترمز لمعاني إنسانية نبيلة، وقد بنى لها ترهاقا معبداً صخرياً في حضان جبل البركل⁽¹⁴⁾. وللبقرة أهمية كبرى في حياة النوبيين في شمال السودان ومنطقة الدراسة حيث تذكر روايات بعض كبار السن أن الأمهات كن يضعن أطفالهن في حظائر الأبقار ليلاً إذا ذهبن مناسبة اجتماعية فرحاً أو كرهاً وذلك لاعتقادهن بأن البقرة تحمي الأطفال ولا يساورهن أي قلق تجاه أطفالهن⁽¹⁵⁾، وكذلك نجد أيضاً في الأغنية الشعبية في المنطقة إشارة لشاهتور باللغة الدنقلاوية.

شاه (ح) تور كي عبيدي بدلي - ن - تودكي

أشوي قد صبحي ريلي-ن- تودكي

المعنى: أحفاد من عبدوا ودعوا الآله (شاهتور)

أحفاد من يبدؤون يومهم بشراب اللبن من الأبقار مباشرة

ويرزعم البعض أن المقصود من شاهتور هو النبي الخضر ولكننا نرى أن هذا الرأي فيه ضعف لأن المشهور في المنطقة عند الإشارة للنبي الخضر هو (الخدر)، أما شاهتور هو الأقرب في النطق لحتحور⁽¹⁶⁾، وإذا حذفنا المقطع شا والذي يستخدم في اللغة الدنقلاوية كرمز ملكي للتعظيم⁽¹⁷⁾، كما أن السياق وارتباطه بالبقرة يعضد ما ذهبنا إليه، فضلاً عن بعض الإشارات والطقوس التي تؤكد ذلك - سنشير إليها - ونضيف هنا ارتباط حتحور في المعتقدات المصرية القديمة بالربة ساتي (ستي)⁽¹⁸⁾، ويلاحظ انتشار اسم ساتي في منطقة دنقلا، ولقب ساتي في اللغة الدنقلاوية يشير إلى مرتبة دينية (كاهن أو شيخ دين).

ارتبط التينمباب في دنقلا بممارسة بعض الشعائر الطقوسية الخاصة بالبركة والزيادة في المحصول، والتي ما زالت تمارس حتى الآن خاصة عند النساء في حدود ضيقة - وهي في طريقها للاندثار -؛ وسنحاول في هذا الجزء أن نلقي الضوء على هذه الممارسات والطقوس الأخرى ذات الصلة بها.

بعد تعبئة المحصول ينقل إلى مكان التخزين بالحمير أو الجمال، ويتم التخزين بطريقتين إذا كان المحصول وافراً يحفر حفرة عميقة داخل الرمال ثم يرش داخلها الرماد (Operty) وتوضع الحبوب داخلها وتطمر، ثم يُعلم مكان الطمر بحجارة معروفة أو عوداً من الخشب.

أما الطريقة الثانية وهي الأكثر انتشاراً فتحفظ داخل صومعة صغيرة تبني داخل المنزل تعرف بالقوسية (Gosse) ويستخدم في بنائها طين النيل (الطمي) (Korkaty)، ويخلط معه روث الحمير أو مخلفات القمح (التبن) ويترك حتى يتخمر الطين ثم تبني قاعدتها في شكل دائري بقطر القاعدة (1-3م) وارتفاع (2-3م) والفتحة الخارجية (العليا) بقطر (1-1.5م) ويستغرق فترة البناء حوالي (15 يوم)، وقبل التخزين يتم حرق الصومعة (القوسية) من داخلها ثم ينثر أيضاً عليها الرماد وذلك منعاً لتسوس الحبوب،

وتوضع القوسية فوق ثلاثة أو أربعة حجارة متوسطة الارتفاع لأبعادها عن الرطوبة والزواحف والحشرات (صورة رقم 2).



صورة رقم 2

توضيح جانب من القوسية وعليها بعض الرسومات الطقوسية

ويلاحظ في تقنية صناعة القوسية ظاهرة علمية متطورة جداً نجح في ابتكارها المهندس النوبي وهي مقدرة القوسية على الحفاظ على درجة حرارة ثابتة نسبياً تتناسب مع درجة الحرارة خارجها والتي تتراوح ما بين شدة الحرارة صيفاً والبرودة شتاءً على حسب مناخ الإقليم النوبي الصحراوي القاري⁽¹⁹⁾. ويصاحب عملية التخزين طقوس متوارثة مرتبطة أيضاً بتيّنمباب البركة لأنها مهمة ومقدسة تتوارث عبر الأجيال من الجدة إلى الأم إلى البنت ويكون ذلك عبر مواصفات محددة لمن تعطي التينمباب منها من يظن فيها أنها مبروكة (أي ضارعاها أخضر)، وأنها موفقة في حياتها الزوجية، ويتم وضع التينمباب داخل القوسية في الغالب قبل مغيب الشمس بقليل، ولا يحضر عملية إدخال الحبوب والتينمباب في القوسية المرأة المطلقة أو العاقرة، ويوضع التينمباب أسفل القوسية وفوقها الحبوب، وعند القيام بهذه العملية يرفع النساء أصواتهم ويرددن: شاه (ح) تور جنات آرتر بول (20)

المعنى:

شاه (ح) تور الذي يرقد في ظل (الضحى) داخل الجنة.

وكذلك يرددون:

شاه (ح) تور لا تبقي كتر

الخدر والياس بلا قياس (21)

المعنى:

أيها الإله كن على عادتك مباركاً لنا في محصولنا

الخدر (الخضر) والياس وباركاً المحصول بلا حدود.
من الطقوس أيضاً، وإذا كان في القوسية حبوب لا تؤخذ من أسفل التينمباب، وكذلك إذا أريد إفراغ القوسية من الحبوب من أجل التنظيف وإعادة تخزين الحبوب من جديد تستخرج الحبوب الموجودة مع التينمباب ثم تعاد مرة أخرى.

2/ طعام أبناء الجد (أنون توني Anon Toni):

بعد جمع المحصول في المكان المخصص له (التقا/ Taga) تجرى بعض الطقوس أثناء تعبئة المحصول وتخزينه وذلك لجلب البركة وزيادة الإنتاج ومن هذه الطقوس يذهب الرجال في الثلث الأخير للتقا ويقفون على مسافة قريبة على بُعد عشرة خطوات تقريباً ويوقدون البخور، ثم يخلعون أحذيتهم ويحمل أحدهم التينمباب ويحشو على ركبتيه عند المحصول (الحبوب) المراد تعبئتها ويضع التينمباب داخله، وبعدها يبدءوا التعبئة، ويتم أولاً إخراج مقدار معين من الحبوب (قيراط تقريباً) بمكيال من الفخار يسمى شوربا (Shorba) ويوضع بعيداً ويترك في مكانه لا يقترب منه أحد، ويعرف هذا الطقس بأسم (شاه- ح) تور شوربا(22)(صورة رقم 3)، ونلاحظ هنا ورود اسم شاحور - ذكرنا من قبل أن صلته باسم الاله حتحور - ويعرف هذا الطقس عند البعض بأنون-توني (Anon-toni) وهي كلمة دنقلاوية تعني حرفياً أبناء الجد. وهناك تعريف آخر لأنون توني ارتبط بعقائد سكان منطقة الدراسة وهو يعني عندهم الشياطين أو المخلوقات الخفية، ويقال أيضاً أنهم نتاج (أبناء) زواج بعض رجال الدين من بنات الشياطين(23)، والجدير بالذكر أن في منطقة الغابة شمال مدينة الدبة مقبرة ضخمة معروفة باسم أنون توني. وهذا الطقس ارتبط بممارسات أخرى وهي إخراج جزء من الحبوب عند تنظيفه أو جزء من الخبر عن تصنيعه في مكان مرتفع أو على سطح المنزل ليشاركهم أبناء الجد في الطعام(24)، وربما كان لهذين الطقسين صلة بمعتقدات قديمة تقتضي إخراج جزء من المحصول كذور للآلهة.



صورة رقم (3)
توضح إناء الشوربو

3/ حفظ الأطعمة (الأدام) (أرني /Aarny):

كانت الأطعمة ونعني بها هنا الإدام (الملاح) وتعرف في منطقة الدراسة باسم جَهد أو (جكد/ Jahod) تحفظ في مكان رطب - في الغالب- بالقرب من أزيار مياه الشرب، ويكون إناء الإدام أو الملاح مفتوحاً أو مغطى جزئياً وتوضع عليها عصاتان صغيرتان من جريد النخل أو قصب الذرة في شكل صليب وذلك لحفظه من الشياطين أو المخلوقات الليلية غير المرئية وتعرف ب (كُهوكي / Kohoky)، ويعرف هذا الصليب باسم آرني (Aarny)، ومن الواضح أن هذا الطقوس من تأثيرات الثقافة المسيحية، وكذلك تحفظ الأطعمة بأن توضع على المعلق ويسمى عند مجتمع الدراسة ب اسم (أول / Olil) - وهو حبل مصنوع من شعر الماعز أو من سعف النخل ويربط في شكل شبكة تُعلق في سقف المطبخ، وتوضع على الإناء عصا صغيرة تعرف بعكاز النبي ثم تجعل من فوقها الغطاء (أنظر: صورة «4») والغرض منه حفظه من الكوهكي (25). وتجد الألبان ومشتقاتها عناية خاصة من النساء لأنها أكثر الأطعمة والأتربة عرضة للحسد والعين والكوهكي لذا تمارس حوله عدة طقوس للبركة والحفظ، فعندما يتم فصل الدهن أو الفرصة (دس / Ds) بعد خجه في السعن (شكي / Shaki) يرسم بقطعة منه على رؤوس أو وجوه الأطفال شكل صليب للبركة، وكذلك يبعد الدهن من أعين الناس خوفاً من العين والحسد، ويقومون بالتصفير على الدهن بالفم لطرد الشياطين التي تكثر في أماكن تواجد اللبن والسمن (Esin) ، وكذلك عندما يطلب الجيران من أهل الحي اللبن الروب (مساد / Masad) توضع قطعة صغيرة من الدهن داخل اللبن منعاً للحسد (26).



صورة رقم (3) توضح عكاز النبي

4/ المحظورات من الطعام (سمك الكور):-

يعتبر سمك النيل (كاري/ Kare) من مصادر الغذاء المهمة لدى مجتمع الدراسة والمجتمعات الإنسانية التي تقطن حول النيل حيث يؤكل طازجاً بعد اصطياده من النيل بشيه أو غليه ويطبخ أحياناً، وكذلك يجفف ، وملح ويصنع من صغير الأسماك (صير) التركين (الملوحة) وهي من أقدم وأشهر الأكلات النوبية، ويأكل النوبيين كل أسماك النيل بمسمياتها المختلفة ما عدا نوع واحد يعرف باسم (كور / Kor)، ويعرف بنفس الاسم عند مجموعة الأرومو الأثيوبية، وهو سمك القرموط، وتذخر الثقافة النوبية بالكثير من الأساطير والأسباب التي تبرر عدم أكلهم لسمك القرموط حيث تقول الأسطورة النوبية: أن النوبي الحق لا يأكل سمك القرموط حتى وإن كان سيموت من الجوع لأن جد النوبيين الأول سيدنا آدم في بداية تشكيل الأرض، عندما كان هناك فقط النوبي الذي وجد على هذه الأرض ليعمرها «تمهيداً لاستقبال البشر على هذه الدنيا، قد أكلته سمكة قرموط ضخمة ومنذ ذلك اليوم، وبعد مرور الآلاف من السنين لا يزال أكل لحم سمك القرموط محرماً ومحظوراً على النوبيين، وهناك أسطورة أخرى تقول إن سمك القرموط بعد موت أوزيريس قد ابتلعت ذكره حيث نجحت زوجته إيزيس من جمع باقي أشلاءه وبمقتضي هذه الأسطورة ومنذ ستة آلاف عام وأكثر أصبح أكل لحم القرموط ضمن المحرمات عند المصريين القدماء(27).

أما مجتمع الدراسة فيقدم عدد كبير من المسوغات لعدم تناولهم لسمك القرموط منها أن سمك القرموط يحيض وانه يأكل الأوساخ ومخلفات الإنسان(28)، ويرجع خالد ساتي السبب في عدم تناول سمك القرموط إلى تأثير النوبيين بتعاليم العهد القديم حيث جاء في سفر اللاويين:«... وهذا تأكلونه من جميع ما في المياه كل ما له زعانف وحرشف في المياه، في البحار وفي الأنهار فيياه تأكلون (9) لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف في البحار وفي الأنهار من كل ديبب في المياه فهو مكروه لكم (10) ...»(29). ويضيف خالد: بأن سمك القرموط (الكور) ليس له حراشف لذلك فأكل لحمه محرم(30)، (أنظر: صورة رقم 4). ولكننا نلاحظ أن معظم النوبيين ومجتمع الدراسة على وجه الخصوص يأكلون نوعين ليس لهما حراشف وهما الجوري (Jori) ويعرف بالبردة ، والثاني الدشكو (Dashko)، مما يرجح بأن هناك أسباب عقدية أخرى ورهما تكون قديمة الجذور في تحريم النوبيين على أنفسهم أكل لحم القرموط ، وهنا استحضر مثلاً - عند مجتمع الدراسة - يصور سمك القرموط وكأنه ملك النهر والأسماك ، ويصفه بالقوة وهو: كور ولكن دبس أوركين Kor belken Dabas Aorken « أي إذا غاب الكور (سمك القرموط) أصبح الدبس (نوع من الأسماك) ملكاً على الأسماك(31).

صورة رقم (4)

توضح سمك القرموط (كور)



الخاتمة:

انحصر حديثنا في هذه الدراسة الموجزة عن بعض المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطعام عند الدناقلة في أربعة موضوعات تتمحور حول حفظ الحبوب وزيادة بركتها إحدى مصادر الغذاء الرئيسة لدى مجتمع الدراسة فيما يعرف بطقس التمنباب، وعن التواصل مع الأقرباء والأهل في العالم الآخر (حياة ما بعد الموت) بتقاسم الطعام معهم والمعروفين بأبناء الجد (أنون توني)، واستخدام بعض الشعائر الدينية في حفظ الأطعمة والمشهور بطقس (آرني)، وكذلك تناولنا ضمن هذه الموضوعات الممنوعات والمحرمات من الأطعمة باتخاذ سمك القرموط (الكور) كنموذج، ولعل من الملاحظات المهمة التي أشير إليها هنا أن الباحث وجد تفهماً كبيراً من مجتمع الدراسة أثناء المقابلات حول المعتقدات الشعبية، والتي تعارض في أحيان كثيرة تعاليم الدين الإسلامي، وربما مرد ذلك إلى التعايش الديني والثقافي في منطقة الدراسة والتي تعتبر من أهم مناطق التحولات الدينية والثقافية في السودان وآخرها التحول الديني السلمي من المسيحية إلى الإسلام، أو ربما لتمسك واعتزاز مجتمع الدراسة بثقافتهم المتوارثة.

النتائج:

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. إن معظم المعتقدات الشعبية حول الطعام ومصادر الغذاء في منطقة الدراسة لها جذور دينية قديمة في وادي النيل قبل ظهور الديانات السماوية الثلاثة (اليهودية- المسيحية- الإسلام) والتي تركت بعض بصماتها على هذه المعتقدات.
2. أن مظاهر الاستمرارية الثقافية تتجلى أوضح صورها في المعتقدات الشعبية والتي ما زال يتمسك بها مجتمع الدراسة ويمارسها في الكثير من تفاصيل حياته اليومية رغم مخالفتها لتعاليم الدين الإسلامي دون الشعور بالحرَج وخاصة عند النساء.

التوصيات:

وتوصي الدراسة :

1. بإجراء المزيد من الدراسات المفصلة حول المعتقدات الشعبية والتي تحمل في طياتها الكثير من المضامين الاجتماعية والثراء الثقافي خاصة في منطقة الدراسة.
2. دراسة العادات والتقاليد المتعلقة بالطعام وآداب المائدة ذات الصلة بالمعتقدات الشعبية.

الهوامش:

- (1) دليل العمل الميداني لجامعي التراث، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015م)، ج 2 ، رقم المسلسلة، 167.
- (2) الجوهرى ، محمد ، علم الفولكلور، الأسس النظرية والمنهجية، مج 1 ، (القاهرة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2016م)، ص 29-38.
- (3) محمد عوض محمد، السودان الشمالي - سكانه وقبائله، (القاهرة: 1956م)، ص 232.
- (4) دليل العمل الميداني
- (5) اعتمد الباحث هذا المنهج في سلسلة من الدراسات التي تتناول هذا الموضوع.
- (6) سلوى السر حسين محمد، ربة منزل، 55 عام، مقابلة بمنزلها، كدكول - دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/13م.
- (7) محمد شريف أحمد إدريس، مهتم بالتراث، رئيس المنظمة النوبية للثقافة والتراث، 62 عام، مقابلة بمكتب المنظمة، 19 يونيو 2016م.
- (8) محمد حسين محمد محمود، نقابي بالمعاش، مهتم بالتراث النوبي، 65 عام، مقابلة بمنزله بالحاج يوسف، الخرطوم، بتاريخ 2014/3/12م.
- (9) أم النصر شيخ الدين حسين دياب، ربة منزل، 77 عام، مقابلة بمنزلة، قرية المقادة، دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/15م.
- (10) محمد على حسين محمد، مزارع، 59 عام، مقابلة بمنزله، قرية كدكول، دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/13م.
- (11) بدج، والاس، صفحات من تاريخ مصر الفرعونية، آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م)، ص 38-39.
- (12) شادية عبد ربه عبد الوهاب، آثاره - أمانة المتاحف - الهيئة القومية للآثار والمتاحف، مقابلة بالهيئة القومية للآثار والمتاحف، بتاريخ 2017/11/29م.
- (13) بدج، المرجع السابق، ص 503.
- (14) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، (القاهرة، دار المعارف، 1983م)، ص 238-239.
- (15) أم النصر، الراوية السابقة.
- (16) نفس الراوية
- (17) محمد حسين ، الراوي السابق.
- (18) بدج ، المرجع السابق، ص 512.
- (19) Tahir, Y. F., and Other: "Gossi The Ancient Nubian Mud Built Grain Silo" Nyame Akuma - No. 83, June 2015, P.p 8491-.
- (20) سلوى السر ، الراوية السابقة.
- (21) علوية الحاج محمد صالح، ربة منزل، 80 عام، مقابلة بمنزلها، المقادة - دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/16م.

- (22) محمد على، الراوي السابق.
- (23) صلاح صالح عبد الله صالح، مزارع، 62 عام، مقابلة بمنزله، قرية المقاودة، دنقلا العجوز، بتاريخ 1 2015/2/7م.
- (24) أم النصر، الراوية السابقة.
- (25) نفس الراوية.
- (26) نفس الراوية.
- (27) طالب مراد ، المتمرّد .. وسمك الجري (القراميط)، الأخبار www.akhbaar.org/home شبكة الإنترنت.
- (28) صلاح صالح ، الراوي السابق.
- (29) العهد القديم، سفر اللاويين ، الأصحاح (11) ، الآية (9-10).
- (30) خالد محمد عبد الله الشيخ ساتي، موظف وباحث في الثقافة النوبية، العمر 47 عام، مقابلة بقسم الآثار، جامعة الخرطوم، يوم 2018/4/16م.
- (31) حامد خبير ، حكم وأمثال نوبية من دنقلا ، (الخرطوم: جمعية دنقلا للثقافة والتراث النوبي، 2016م)، ص35-36.